لقمان سليم يحصر الذاكرة بالشهداء ويتعامى عن زعماء الحرب

■ نعيم تلحوق

ما دعا إليه الهنغار ـ أمم حارة حريك، في معرض صور قيد الإنشاء عن الحرب في أنصابها وشواهدها ـ ليس سوى تكريس مجاني لاختصار ذاكرة ـ أو قطعها ربما ـ بنصب «تذكارية وشواهد على قامة الشهداء والضحايا الذين كانوا وقود الصراعات الداخلية أو شهوداً حقيقيين على صراعنا مع «العدو الصهيوني».

هكذا وببساطة يتم الإيعاز لمصوّر صحافي كي ينال من رموز الذاكرة الشعبية ودمائها لم تحصّل جفافها بعد. فكيف يكون تمثال شهداء لبنان حاضراً كرمز وطني في حقبة معينة، ثم يعود ليختلف في حقبة أخرى حسب اتساع رقعة الشهداء من كل الأجناس والأطياف.. هنا نسأل منظم المشروع لقمان سليم عن دواعي إقامة معرض لتقريب التواصل الإنساني بين اللبنانيين ليسجل في كلمته خلافاً على أنصبة الشهداء، فيعتبر مجزرة كالتي حصلت في حلبا هي «مقتلة» لا مجزرة، وأن اللبنانيين غير متفقين بعد إذا كان الذين ذبحوا شهداء أو قتلى؟!

تتوزع المشاهد على تقديرات نسبية في استذكار هول التاريخ وفظاعته فيصبح المشتهى الغرائزي فاقداً لأهليته في التعاطي مع الأفكارالجديدة، والخلق والابتكار، تكون الحالة، ها هنا، استنسابية في تدوين الذاكرة، حيث الرؤية هامشية، وقد تستحضر رؤاها التنويرية في رؤى غير قادرة على التذكر... فنقع في المحظور.

اختلاف النظرة

هذا الواقع، يتحرّى عن مكنونات ونوازع داخلية في ذواتنا راحت تثبت أكثر من مرة أنها غير مؤتلفة المفاهيم. وغير واضحة المعالم، إن بنتائجها أو بدلالاتها الرؤيوية. فنقع مثلاً على مفهوم «الحرب» بمعناه اللوجستي، فتتجشم «أمم للتوثيق والأبحاث» عناء القيام بمعرض تحت عنوان «الحرب في أنصابها وشواهدها»، لتجثو على بركة الله، بمعية سفير اسبانيا في لبنان خوان كارلوس غافو، على واقع أن الذي سبّب الحرب هم الضحايا أو الشهداء لا الزعماء والسياسيين والتبعيين والوصوليين من العقول السلفية والمتحجرة أو المذهبية والطائفية. هؤلاء

الذين لهم مآثر في حقيقة النظام اللبناني وواقعه، تمّ تجاهل ارتدادتهم الفكرية... فأقام لقمان سليم (منظم المشروع) تحت شعار «ما العمل» المنشور السابق لمنظمة العمل الشيوعي في لبنان معرضاً في الهنغار ـ أمم في حارة حريك، «تحدياً للواقع» الذي سمح له في استعراض ما عنده ونبش قبور الشهداء عبر محاكمتهم صورياً على ما اقترفته أيديهم، رغم تبرير صاحب الفكرة «أن ذلك كله يتعلق بالمصالحة والعفو وكيفية انتقال الدول التي عاشت حروباً أهلية من مرحلة الحرب إلى ما بعدها».

وإذا كان هذا الكلام حقيقياً لماذا إذاً، يحاول لقمان سليم أن يسأل بعد «نبشه القبور» إذا كانت مجزرة حلبا هي مجزرة أو مقتله باعتبار أن اللبنانيين لا يزالون مختلفين حول هذا الموضوع.

استعادة الذاكرة تضمر غيّاً واضحاً في تجسيد مفهوم الهوية حيث يطال القتيل لا القاتل، والدلالة الثقافية تشير إلى أن الحدث الذي يفرض نفسه هو لإبطال مفهوم الضحية، بقدر ما يطال مفهوم الجلاد... والمفارقة أن «سليم» عرض نصب الشهداء ـ الضحايا، ولم يعرض نصب الزعماء السياسيين الذين سببوا الحرب، ولحقت تماثيلهم عقول وقلوب اللبنانيين في لا وعيهم، وأصبحت مأسسة لذاكرتهم التي لا تقوم إلا على صورهم المحفورة في الأذهان وعلى ناصية الطرقات والأماكن العامة؟

إذا كان الهدف من المعرض توثيق مرحلة معينة من تاريخ اللبنانيين عبر هذه النصب، فلماذا لا نضيء على تماثيل الأشخاص الذين عبر التاريخ اللبناني كانوا مطرحاً لاستذكار السيء والجيد من أعمالهم وتاريخهم. فنصل حينها إلى مبتغى حقيقي نستطيع من خلاله إيجاد مكان للكلمة، وللأحاديث المتداخلة، التي تؤلف مع معهد سيرفانتس وجمعية أمم، نقطة انطلاق لتسليط الضوء على فكرة التمثال المحفور في قلوب الطائفيين المرضى من اللبنانيين.

بمقدور واحدنا أن يستوحي من خلال أحاديث وحوارات تسجل لمحمود درويش وأدونيس وابن حزم وانطونيو غامونيدا، مفهوم الهوية ـ اللغة التي لم تزل عند بعض «الزعماء الراسخين في العلم» موضع جدل ونقاش إذا ما تركنا جانباً تحقيق الرغبة في إصلاح النفوس، كي لا يصبح النص يتيماً غير قادر على الثبات، وبالتالي مهدداً من جملة اعتبارات غامضة لا تشي برسم صورة حقيقية واعية عن الحرب اللبنانية والإفادة من تجاربها.

مصيبة كبرى أن لايميز لقمان سليم بين المجزرة والمقتلة؟!

أوليس الصراع هو على الفكرة التي تحقق مفهوماً متعادلاً وهادفاً، وذلك عبر نسف أسباب الحرب، لا الحكم على نتائجها، وذلك يكون بالانتقال إلى النظرة الجديدة للحياة والكون والفن، والالتزام مشروع الحياة الجديدة، لا التأكيد على التراكم أو الحتمية التاريخية... فمع كل تجديد هناك انتقال إلى وعي جديد لا البناء على التداعيات... لذا، نحرص أن يكون «المجتهد الفني» لقمان قد صار حكيماً أكثر فيلتزم مشروع نسف هذا النظام المريض للانتقال إلى علاج أكثر ملاءمة للأجيال المقبلة.